

# البَابُ الْأَوَّلُ

أهمية المناهج التربوية

obeikandi.com

## مقدمة

اسماج التربية من الأمور التي تعنى بها الأفراد والجماعات والحكومات منذ أقدم العصور . فالفرد في المجتمع البدائي يحلم دائماً بأن يورث ابنه ما عرف هو عز البيت التي يعيش فيها والحياة التي يجيها ، فلا يفتأ يدرسه ويعلمه ويوجهه منذ الطفولة حتى الرشد وحتى يطمئن إلى أنه قادر بعده على حمل الأمانة ومغالية صعاب الحياة التي يحس بها هو ، فإن فشل في تلك المهمة عاش بحسرة ومات ذنفاً سقياً ، ومع تطور الزمن وتعدد مسارب الحياة الحضارية وتعدد أمور العيش ازدادت مناهج التربية أهمية في نظر الناس وشغلوا أنفسهم الشغل كله بإعداد أبنائهم وذرائعهم بوساطتها خير إعداد وبقدر ما يستطيعون لينجحوا في مواجهة أمور دنياهم . كما فكروا أيضاً في مسائل إعدادهم لتحمل مسؤوليات دينهم ولتزود بأطيب الزاد من أجل آخرتهم .

وفي مجال العناية بالأفراد والجماعات عبر الزمن تزايد الاهتمام بالمناهج التربوية ونصب كثير من المفكرين أنفسهم لسبر غورها والبحث في دروبها واستنباع الفلسفات الخاصة بها ووجهات النظر المختلفة بشأنها كي يحققوا الخير والإسعاد للنشء بمخاضة والوطن بعامه . ولقد كثر من أجل هذا اختلافهم وتعددت آراؤهم مع مرور الأيام ، وتشعبت في كلامهم وكتاباتهم موضوعات التربية ، وصياغتها في مناصج وبرامج ، وتنحى عن مجالها من لم يتزود لها بيزاد المعرفة ، وأصبح ميدانها يزخر برجال الفکر . وأول ما يعنى هذا كله أن التربية ومناهجها لها ميزانها الخطير في الارتفاع بقيمة الأفراد وتنمية نهضات الأمم . ولقد قال « لايتتر » :  
أعطوني التربية أشير وجه أوروبا قبل انقضاء قرن (١) .

(١) غوثاف لويون : ترجمة عدل زعير ، روح التربية ، دار إحياء الكتاب العربية ،



## الفصل الأول

### أهمية المناهج التربوية للدولة

إن المناهج التربوية ضرورة من ضرورات الحياة تحافظ بها الإنسانية على أن تبقى وتتطور . ومن ثم فهي محكومة بالفلسفات الاجتماعية ومظاهر الحياة العديدة للجماعة التي تعيش فيها ، وبالتراث الثقافي الذي خلفته الأجيال في أمة من الأمم ، وبالنظم الاقتصادية التي تسودها . وهذا تعددت الأساليب التربوية واتسعت التعليمية فهي تتسع جميعها إلى غرس المواطنة الصالحة في المواطنين من وجهة النظر الخاصة بالوطن كمن يقوموا خير قيام بالخدمات الاجتماعية والوظائف الحيوية في مجتمعهم . ولذلك فهمتها الثميلة في هذا المجال أن تنمي الفرد في إطار قدراته واستعداداته معرفة وتفكيراً وصحة عقلية وجسمية ومهارة واعتزازاً بقيمة المجتمع ومله ، وتوجه هذا النمو في الوقت نفسه لصالح الجماعة في نواحيها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

والذي لا شك فيه أن آثار المناهج التربوية الحكيمة تظهر في وعي الشعب السياسي حين يتحرر في اختيار ممثليه ويمارسهم على ما قنعوا من أعمال خير الرد والمجموع ، وحين يتفهم السياسات الدولية وتصارعها في سبيل المصالح الشخصية وموقف دولته في هذا الصراع مما يحتاج منه إلى تعضيد . ومناهج التعليم تتعلم المصالح الاقتصادية للدولة بما تعمل على التقدم العلمي في مجال الزراعة والصناعة والتجارة مما يرجع إلى الدولة والأفراد تقدماً في اقتصادياتها وارتفاعاً في مستوى الدخل القومي . فمثلاً يقوم العلم بدور كبير في القضاء على الآفات التي تنص المحاصيل الزراعية ، وفي زيادة غلة الفدان ، وفي تسويق غلات الأرض واستجابتها على أسس قومية ، وفي تصنيع المنتجات الزراعية ، وفي إقامة المشروعات التي تزيد في رقعة الأرض الزراعية وفي قوة إخصابها ، وذلك كله يعود على الدخل القومي وعلى دخل الفرد بالنماء العظيم . وفي الناحية الاجتماعية أيضاً يؤدي العلم دوره في

اشترع القوانين التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض والتي، تكشف عن الأخطاء وتحاول إصلاحها .. وهكذا

ولقد أبان التعطش إلى التقدم والسبق في كل أنحاء العالم وفي كل العصور . ولا سيما في الوقت الحاضر ؛ مدى التطلع إلى المناهج التربوية عاملا من أقوى العوامل على تحقيق آمال الشعوب وقيادة سفينة إلى أخصب الشطآن وأعظمها ازدهاراً بال عمران والارتفاع النهضي . فكل أساليب التربية ومناهجها التي يطبقها الآباء والأمهات في البيت والمدرسون في المدرسة والحكومات في المجتمع والتي تنصب على الأفراد ؛ تعمل جاهدة كي تخلق منهم أعضاء صالحين قادرين على الإسهام في الرق الاجتماعي بما لديهم من طاقات خلاقة تقوى مع التوجيه والتعليم على تطوير التراث الشعبي وتكييفه للظروف العالمية التي تكتنفه . ولولا ذلك ما كرمست جهود الفلاسفة والعلماء التربويين والاجتماعيين والسيكولوجيين لتهديب الفكر التربوي وتطويره وصوغه في المناهج المناسبة ، وما تحملت الدولة في سبيل أخذ أفرادها به باهظ النفقات حين تلزم نفسها بمجانبة التعليم في بعض المراحل التربوية أو كلها . وحين تسن القوانين الصارمة لجعله إلزامياً في بعض المراحل التعليمية ، وان اختلفت في مداها باختلاف الأمم وظروفها الاقتصادية وغيرها .

ولقد أنشئت المدارس ودور التربية والتعليم وعضد المواطنين استمرار وجودها وأكثروا ضرورتها. لتسد بمناهجها التربوية حاجات المجتمع وتعمل على إسعاف ونهضته ، ومن ثم ولكي تكون هذه المدارس وتلك الدورات قيمة فيما قامت من أجله فإنها دائماً تأخذ فلسفتها وأهدافها من فلسفة المجتمع وأهدافه . فهي إتاقاً ملزمة - بمن يقوم على شرفها ويوجه سياستها - أن تدرس خصائص المجتمع الذي تخلمه ، وتبين صفاته المميزة لتكوينه ونظمه الاجتماعية والدينية والاقتصادية والترفيهية ، وتعرف فيه على الحاجات التربوية للشباب والصغار والكبار على السواء ، ثم تبنى مناهجها على أساس من هذه الدراسة ليكون تعاملها مع الأفراد مشمراً ، وتكون خططها في تهذيبهم وتنشيطهم مرسومة بسمة القبول منهم والنفع لمجتمعهم - ثم هي ملزمة أيضاً أن تتفاعل مع البيئة التي توجد فيها وتتفجع بما يكتنفها من إمكانات مادية وبشرية في تحسين برامجها والوصول إلى أهدافها بالنجاح الكامل . وجملة

القول أن عليها أن تكيف نفسها للخدمة الثلاثة في المجتمع وأن تعنى بإعداد نفسها أحسن الإعداد لتحمل مسئولية تطويره وإنهاض مرافقه .

ولقد عرف أن المدرسين هم صناع الأمة الحقيقيون ، يصوغون مستقبلها بقدر ما يبذلون من جهد وإخلاص في العمل التربوي المنوط بهم وفي تعليم أبنائها طبقاً للمناهج التعليمية التي يقرمون على تدريسها . وهم من أجل ذلك يعكسون بالمدارس التي يعملون فيها الصورة الدقيقة لمدى النهضة الشائعة فيها ونوع الثقافة التي تجمع بين أبنائها وتسود تصرفاتهم أفعالاً وأقوالاً . وفي هذا المعنى يقول رسل كبير « Rassel cooper » « إذا أردت أن تعرف ثقافة مجتمع من المجتمعات فانظر إلى المدارس فيه »<sup>(١)</sup> ومعنى هذا بالصورة الواضحة أن المدرسة تعكس القيمة الاجتماعية وحقيقة التقدم الذي يحرزه قطر من الأقطار أو يحاول أن يرقى إليه . وبعبارة أخرى فإن الصور التربوية التي تعكسها المناهج والتي تتجهدها للمدرسة بالشعر والذبيوع تحمل في طياتها قوة التعبير عن الحياة برمتها - ضعفتها ورقبتها - في لبلد الذي تعيش فيه . وإذا أردنا أن نفهم عبارة « كوبر » بدلالاتها غير للمباشرة فهي لا شك تضع على المدرسة مسئولية كبرى في إنهاض المجتمع : وتحمل مناهج التربية والتعليم فيها ثقل الأحمال بما يجب أن تخلقه في الأفراد والجماعات من دفع نحو الصالح العام ومحاولة للارتقاء بالمستوى البشري للدولة في العلم والثقافة والاقتصاد والسياسة والأخلاق والقوة المادية والمعنوية وكثير غير هذا مما يبني في نهاية المطاف كياناً محترماً للدولة بين الدول والأفراد بين أمثالهم من الأجانب .

وليس بدع أن تحتل مناهج التربية هذه المكانة وأن تكون لها تلك الأهمية في بناء الكيان الدولى والفردى ، فقد ثبتت هذه الحقيقة عبر التاريخ ، وأيدتها الحوادث العديدة والظروف المستمدة من صور الحياة التي كانت وما تزال تحياها المجتمعات بنظمها المختلفة . فقد اتخذت منها الدول على اختلاف سياساتها وأنظمت الحزم فيها طريقاً إلى تحقيق أهدافها والتغلب على مشاكلها والانتصار لمبادئها .

Rassel M. Cooper, et all, *Teacher Education For People*, Ononta, N.Y.,

(١)

فهذه «إسبرطة» في أعماق الماضي البعيد تقسو عليها الظروف وتبرصر بها أعداؤها في الداخل والخارج ، فتهب لحماية نفسها وتحرص على استمرار وجودها . وقد عرفت في التربية ملجأ أميناً ومأوى كريماً فهرعت إليها تصوغ مناهجها بما يحقق لها أحلامها ويستهدف أهدافها ، فكانت الاختبارات الجسمية القاسية للأطفال حين يولدون حتى تضمن الدولة كفاءة قوتهم وبنيتهم لما يلقي على عاتقهم بعد من مسؤولية الحفاظ عليها والدفاع عنها. وكانت المدارس التي يلتحق بها هؤلاء الأطفال بعد هذا الاختيار القاسي أشبه ما تكون بالمعسكرات : أوامر وزواج وإجبار على تلقى المعلومات والدروس وتقبلها في ديكتاتورية صارمة ، على ما في هذه المعلومات وتلك الدروس من مجافة للفنون والآداب ؛ كأن التلاميذ في ميدان قتال لا تناقش فيه الأوامر ولا يكلفون إلا الطاعة العمياء . ولقد حققت «إسبرطة» بهذا المنهج التربوي أهدافها الاجتماعية ، وحافظت على كيانها ، وإن أهملت الفرد كل الإهمال وذابت شخصيته في شخصية الدولة .

أما «أثينا» - وقد شاركت «إسبرطة» وجودها القديم - فقد كانت على العكس آمنة مطمئنة . وبهذا عزفت عن الديكتاتورية العسكرية ، وآمنت مع المجتمع بالفرد تحاول أن تربي شخصيته وتغذي بعض جوانبه واتجاهاته . وقد سجدت في تحقيق ما تصبو إليه إلى التربية تستعين بها ، ولكن بمنهج يناقض منهج «إسبرطة» : فعنيت بالعلوم والفنون والآداب التي يحتاج إليها الفرد في استعمال ذاتية وتغذية روحه .

وأفلاطون حين أراد أن ينظم دولة لها كيان ممتاز في نظره ، أقام نظامها وبناه على أساس من منهج تربوي فصله في جمهوريته ، ففتح للحكام باب لتعليم حتى نهايته واختط لهم منهجاً دراسياً راقياً قوامه علوم الفلسفة والمنطق وتيرهما مما لا يستطيع غيرهم السير فيه أما ما دون الحكام عنده فهم طبقة المحاربين المتسمين بالإرادة القوية . وهؤلاء لا يسمح لهم إلا بالتعليم في حدود إمكاناتهم العقلية ، ولا يسمون أبداً إلى المرحلة العليا من دراسة الحكام وإنما يقفون دونهم ويدرسون مناهج خاصة فصلها هو لهم . ثم تأتي من وراء ذلك طبقة العمال الذين يتعلمون

مع غيّرهم من الطبقات الأخرى طبقاً لمنهج تعليمي معين حتى سن العشرين حيث يجبه أن ينقطعوا عن الدراسة لضعف مقدراتهم العقلية ويلتحقوا بالحياة العملية زراعاً وصناعاً وأصحاب حرف مختلفة .

وإذالت الدول وتعاقبت الحكومات عرف التاريخ أن الحكم النازي حين استولى على ألمانيا سنة ١٩٣٣ م كانت له مطامع خاصة يريد أن يحققها ، وهي أن يخلق المواطن المؤمن بالنازية إيماناً أعمى ، تلك النازية التي كانت تقوم على العصبية للجنس والتفريق العنصري الذي يغري بالعدوان على الشعوب الآمنة ، ويعزلت الشباب النازي عن العالم حولهم فلا يشعرون معه بوحدة إنسانية . وقد كانت مناهج التربية بمدارسها المختلفة هي الفأس التي أعملت في السياسة القديمة بما فيها من متّ واتجاهات فحطمتها، وكانت هي نفس الفأس التي استخدمت في افتتاح قناة الحياة للسياسة الجديدة التي طمح إليها النازيون . والملك عمد حكاهم من البداية إلى السيطرة الكاملة على مراكز الثقافة ، وانتزعوا السلطة التربوية من يد الكنيسة وركزوها في أيديهم وحدهم ليسهل عليهم توجيهها التوجيه الذي يضمن لهم أداء الغرض النازي أداءً ممتازاً . وقد كان لهم ما أرادوا فطبعوا الشباب قسراً عن طريق المناهج المدرسية التي وضعوها والنشاط التربوي والتلقائي الذي اختطوه خارج المدارس في النوادي والمجموعات المختلفة : طبعوهم على الولاء للحزب النازي والتفاني في خدمة مبادئه وأغراضه ، فترعوا مقومات الإنسانية من نفوس الألمان وزينوا لهم السوك الشائن وطوعوهم للعمل كقطعان من الوحوش المسعورة تنطلق للاقتراض أينما توجه . وكانت لألمانيا بذلك صولة خشيتها كل الدول وقوة أهدبت الناس وإن لم تستر طويلاً .

وحيث قسمت ألمانيا سنة ١٩٤٥م لم تنس هيئة الأمم ما للمناهج التربوية من تأثير قوي على الأفراد والجماعات ، وما لها من أهمية كبرى في بناء صرح الدول وتغيير جوهر الأمور الاجتماعية فيها . بل وعرفت أن أقوى معول لهمم النازية هو المنهج التربوي . وحيث سارعت دول الاحتلال الأربعة : روسيا وأمريكا وفرنسا وإنجلترا إلى وضع اتفاقية العمى التربوي داخل ألمانيا سنة ١٩٤٧ م التي قضت

باتفاق الجميع على عشر نقاط<sup>(١)</sup> لإصلاح المدرسة ومناهج التربية والتعليم حتى يمكن تحقيق الأهداف الاجتماعية التي كانوا يريدون إعادة صياغة الكيان الألماني على أساسها ، والتي كانت في جملتها تضاداً ما بينه النازيون طوال مدة حكمهم مؤسماً على المبادئ التربوية التي انتهجوها .

والدول الاستعمارية لم تغفل عن التربية سلاحاً ماضياً في إخضاع الشعوب المستعمرة وضمان ولاء شبابها ، ولكنها كانت تستن سنة خاصة في تعليم هذه الشعوب

(١) النقاط العشر كما قررها :

R.F. Butts, *A Cultural History of western Education: Its Social and Intellectual Foundation*, N.Y., McGraw Hall, Book Company, Inc., 1955, P. 363.

1. Equal educational opportunities for all. تكافؤ الفرص التربوية للجميع .
2. Free texts and school materials, and scholarship grants. مجانية الكتب والأدوات الدراسية وإعطاء المنح الدراسية .
3. Compulsory-attendance from ages 6 — 15 and part attendance to 18. تعليم إلزامي من سن ٦ حتى سن ١٥ وحضور جزئي في المدرسة حتى سن ١٨ .
4. Ladder system rather than tow — track system of elementary and secondary schools. النظام التابعي بدل النظام اثنائي في المدارس الابتدائية والثانوية :
5. Democratic citizenship education. تربية المواطنة الديمقراطية
6. International understanding. التفهم العالمي .
7. Health and physical education. التربية الصحية والجسمية .
8. Educational and vocational guidance. التوجيه النفس التربوي والمهني .
9. Education of teachers in universities. إعداد المدرسين في الجامعات .
10. Participation by German people in the reform of their educational system. اشتراك الألمان في إصلاح نظامهم التربوي .

فتقع لمدارسها المناهج التي تباعد بين المواطنين وتاريخهم القومي وتؤكد في الوقت نفسه أبعاد المستعمر وبطولاته ومآثره على بلاده وعلى الإنسانية جمعاء . ومن ناحية أخرى تقصر التعليم على الخاصة ، تلقتهم النظريات المخجدة البعيدة عن أهداف الإتحامى لتعزلم عن بقية أفراد الشعب وتربى فيهم مواطنين سلبيين لا قدرة لهم إلا على الأتانية والوصولية . وقصة التعليم في البلاد العربية والإفريقية أيام الاحتلال خير شاهد على ذلك .

وإذا انتقلنا إلى البلاد الحديثة ذات النصيب المتقدم والمتطور في التربية نجد أن نظرنا إلى المناهج التربوية ما زالت نظرة الآمل في أن تبنى لها صرحاً دولياً متميزاً، وتضتها في الموضع الذى تعتز به وتسمى جاهدة أن ترقى إليه . فهذه أمريكا تحاول أن تصنع عن طريق المناهج التربوية معجزة في شعبها ، ذلك أن شعبها في حتمية أمره طرائف وشيع تنتصر كل طائفة وشيعة لثقافة البلد الذى نزلت منه وتعتز بعنصرها مستعلية على العناصر الأخرى ؛ فكل من العنصر الألماني والإنجليزى والإسباني وغير ذلك من العناصر التى يتكون منها شعب الولايات المتحدة يميل إلى أن يتكور في إطار وحده ، ويحيط نفسه بهالة من الرفعة الجنسية والثقافية المشيئة عما للعناصر الأخرى . تحس ذلك في اللغات التى يتكلمونها مع الأمريكية مختلفة باختلاف مواطن هجراتهم ، وتحس ذلك أيضاً في النعمة العنصرية التى تظهر على ثنايا أحاديثهم وتنف كلامهم ، وإن حاولوا أن يظهرها التوافق الجمعى والانسجام الشعبى والبعد عن التعصب العنصرى . ذلك الذى يشيع في الشعب الأمريكى من نوازع التشتت العاطفى وسمات البعد بين الطوائف التى هاجرت من بقاع شتى واستوطنت ذلك البلد الثانى ؛ قد دفع بالتربويين هناك أن يفكروا كيف يتغلبون على هذه المشكلة عن طريق المدارس والمناهج التربوية . وقد حاولوا وما زالوا يحاولون في ذلك محاولات عديدة . وما زال الناس هناك يحملون المدارس مسئولية هذا الإصلاح ويلومونها أشد الملامة لأنها ما زالت مقصورة في سبيل تحقيق هذه الغاية .

ومع يدل على أن المناهج التربوية في نظر الأمريكين ذات أهمية كبرى للدولة وأنها قسيرة على خدمة أغراضها خلمة صادقة ؛ أنهم يطعمون عن طريقها في

الارتقاء إلى مدارج القيادة العالمية ، ولذلك تراهم يعملون على سيادة اللون التربوي الذي يتجهجونه في مختلف البلاد فيختطون الخطط التي تريد اتصال العالم بثقافتهم ونظمهم التربوية ، ويفرقون منحهم الدراسية في جميع أقطار العالم حتى في روسيا نفسها استجاباً للأعداء الضخمة من الكفاءات الممتازة في كل الميادين بإغراء لهم بالدراسة في بلادهم ليتمكنوا عن هذا الطريق — طريق الدراسة والتعلم طبقاً لمنهجهم التربوية — من صنع الحواريين الذين يعطفون على قضية الود لهم ويحملون مبادئهم ويحترمون سيادتهم . وفوق ذلك فقد دأبوا على تدريب كثير من شبابهم ليعيشوا وسط الجماعات البدائية أو النامية معلمين ومثقفين ، وبهذه يشتركون كيانهم السيادة بينهم ، ويؤثرون بثقافتهم وتربيتهم في عقول الناس فيحازون إليهم ويدينون لهم بالقيادة العليا العامة . وفي هذا السبيل فتحوا الجامعات الأمريكية بالمعاهد العلمية المختلفة لتلقى العثات من كل مكان . كل هذا يدل دلالة واضحة على إيمانهم بمكانة التربية ومناهجها في جمع الناس حولهم والفرز من خلالها إلى ما يطمحون إليه من أغراض، وأقربها صريحة: لولا أن ساستهم يشنون ويعلمون جانب التكتل وبتهورون في الحكم والتصرف لزاء من لم يترنم سريعاً في أحضانهم أو أظهر شخصية الحياض بينهم وبين غيرهم ؛ أقول لولا سرعة انحراف تصرفاتهم السياسية عن المعقول واتخاذهم جانب الحرب ضد من يخالفهم الرأي اعتماداً منهم على شعارهم المعروف « من ليس معنا فهو ضدنا » ؛ لولا هذه السياسة لأدت المناهج التربوية في مضمار الهدف الذي يسعون إليه إلى خير النتائج .

روسيا — حين وقفت أمام الكتلة الغربية موقف المنافس ، تريد أن تبني لها قوة وجبروتاً يحسب لهما حساب — اتجهت إلى العلم وهو بعض مناهج التربية بمفهومها الواسع ، فاتخذته مطية لتحقيق أهدافها . وقد وصلت فعلاً عن طريق التركيز العلمي في مدارسها وجامعاتها إلى بناء كيانها الدولى بناء يتميز بالسبق والقوة، وحملت الناس على الاعتراف لها بالجسامة والخطورة، وعلى الخشية منها ومحاولة الالتقاء معها على صعيد التوافق والتوازن . وقد اعترف ريكوفر «Rickover» — وهو أدميرال أمريكي — في التقرير الذي أعده وكتبه عن التعليم في روسيا بعد زيارة خاصة بقصد التعرف على نظمها التربوية في المدارس والجامعات ؛ اعترف أنها

سبقت وتفوقت في بعض مجالات ائتفافس الدول لأن مناهجها التربوية وأساليب التعميم فيها من القوة والركيز على العلوم «Sciences». بحيث أدت إلى ذلك<sup>(١)</sup>. وذّر «رثس» أن البناء القوي للمجتمع الشيوعي الروسي قد قام على الأساس التربوي.

«In one Sence it is true to say that the structure of Russian Communist Society, which proved so strong under the impact of latter war, was built upon an educational foundation».<sup>(٢)</sup>

وكل بلد ينمو أو يريد أن ينمو في المحيط الدولي لا يغفل ما للعلم والمناهج التربوية من فضل أى فضل في خلق المجتمعات الناهضة والارتقاء بها سريعاً إلى مصات العظماء ومستوى الكمال ؛ فجمهورية مصر العربية مثلاً حين ثارت على الظلم والظغيان ، وأرادت أن تأخذ بنصيبها في الحياة الكريمة ؛ لم تجعل ثورتها عاطفية ، بل أقامت على قاعدة مناهج العلم والتربية السليمة للشعب إيماناً بأن «العمل الثوري لا بد أن يكون عملاً علمياً»<sup>(٣)</sup> وأنه «إذا تخلت الثورة عن العلم فعنى ذلك أنها انفجار عصبي تنفس به الأمة عن كبتها الطويل ولكنها لا تغير من واقعها شيئاً»<sup>(٤)</sup> ، فالعلم وحده هو السلاح الذي يحقق النصر الثوري ، واجلم وحده هو الذي يجعل التجربة والخطأ في العمل الوطني تقدماً مأمون العواقب . وبدود العلم فإن التجربة والخطأ تصبحان نزعات اعتباطية قد تصيب مرة ولكنها تخطئ عشرات المرات»<sup>(٥)</sup>. وهكذا يقرر الميثاق - وهو دليل العمل الوطني - أن العلم في جمهورية مصر العربية هو منبع الدفع الثوري لتحقيق أهداف الأمة والأفرك فيها وأن السلطات الشعبية «بالعلم وحده تقدر على العمل تحقيقاً لمطالب الجماهير»<sup>(٦)</sup> ، وأن قدرتنا «على التمكن من فروع العلم المختلفة هي الطريق الوحيد أمامنا لصويص التخلف . بل إن النضال الوطني إذا ما اعتمد على العلم

Hyman G. Rickover, *Report on Russia*, State Government Printing Office, ( ) 1959, PP. 48 — 99.

R. W Rich, *The Teacher in Planned Society*, University of London Press, P. 4. (٦)

(٣) (٤) (٥) (٦) ، الإتحاد القومي ، الميثاق ، الباب الثامن ، دار وطابع الشعب

المتعلم يستطيع أن يمنح نفسه فرصة أعظم للانطلاق»<sup>(١)</sup> ، «وأن الأمم التي أرغمت على التخلف إذا ما استطاعت أن تبدأ معتمدة على العلم المتعلم تضمن لنفسها نقطة بداية تفوق النقطه التي بدأ منها الذين سبقوها إلى المستقبل ، ومن ثم تمنح نفسها قوة اندفاع أشد في اللحاق بهم والسبق عليهم»<sup>(٢)</sup>

واعترافاً بأن مناهج التعليم والتربية سناد قوى في تشكيل الحياة لأى أمة وإعداد بنائها بما يضمن لها حياة الكرماء الأعزاء ؛ دعا الميثاق الوطنى إلى إعادة النظر في سياسة التربية والتعليم عندنا ، وتغيير المناهج بما يساعد «الإيمان الفرد . . . على إعادة تشكيل الحياة»<sup>(٣)</sup> حرة كريمة تليق بثورة مصر العظيمة . وهكذا اختطت جمهورية مصر العربية سياستها الثورية طبقاً لمنهج تربوى تعالجه جعلته في مقدمة النشاط القومى وأولته عناية كبرى ؛ حيث هى بسبيل إقامة المجتمع العربى على دعائم من الديمقراطية والاشتراكية والتعاون ، وليس يعنى بقرص القيم التي تتضمنها هذه المبادئ أكثر من التربية إذا خلعت مناهجها كماً وكيفاً .

وإذا كانت المبادئ التربوية والعلمية التي تحدث عنها الميثاق لم تأخذ سبيلها إلى النور الكامل في حياتنا العامة ؛ فإننا نأمل في القريب العاجل أن يولى المسؤولون عنايتهم واهتمامهم بما جاء في الميثاق من هذه المبادئ القومية فيعملوا على تطبيقها التطبيق الصحيح والكامل في كل مناحى الحياة في جمهوريتنا العربية وفي لوطن العربى كله حتى يتحقق لنا وللعرب جميعاً عن طريق المناهج التربوية والتوعيمية ما ننشده من مكانة مرموقة تحت الشمس .

وما تقدم نرى أن المناهج التربوية تغف من اللوله العماد الأول المكين الذى تعتمد عليه في نهضتها إذا أرادت أن تنهض ، وفي قوة شخصيتها إذا عن ما أن تقيم لنفسها شخصية تحترم . ولا ينقص من قيمة هذه القضية وصلغها ما يسود اللولة من الاتجاه السيامى أو نظام الحكم فيها .

## الفصل الثاني

### أهمية المناهج التربوية للآباء

بما لا شك فيه أن الآباء يحبون أولادهم ويضحون بما يملكون وما يحتاجون إليه في سبيل راحتهم ونفعهم ، فحقائبهم أو محافظهم تحمل دائماً صور أطفالهم وحب الاعتزاز بهم ، وقلوبهم تفيض بحبهم وتمتلئ بالتمنيات الطيبة لهم . والأبناء يتعرون بذلك منهم ، فيأدلونهم حباً بحب واعتزازاً باعتزاز ، ويتخذونهم مثلاً عياً يحتذونهم . وبهذه النظرة من الأبناء ينفذ الآباء إلى قلوبهم فيستطيعون التحكم في تصرفاتهم وتوجيههم نحو تحقيق الأهداف التي آمنوا هم بها وبخاصة في مراحل الطفولة الأولى حيث « من شب على شيء شاب عليه » . وبهذه النظرة أيضاً يقلد الناشئون من الأجيال الكبار فيهم . فإن كان هؤلاء الكبار على بصيرة بما يسعدهم وسعد مجتمعاتهم معزم أخذت عنهم هذه الناشئة طريقهم المستقيم ، وإن حادوا وحملوا وقت دينامية التحرك نحو الخير وأصاب العطب آلائها ، وقد لا تقوى اشاعل التي يحملها الشباب مستقبلاً على نثر الضوء في وجه الجهول الذي يحمله آباؤهم وكبار فيهم ، ولكن الذي لا شك فيه أن ضياعها يخفت ويتأخر إشعاعها .

والمعروف أن مناهج التربية في نضج ثمرتها تحتاج إلى اشتراك البيت والمدرسة وتعاون الآباء والمدرسين على توجيه التلاميذ ، وتهذيب سلوكهم ، وإغرائهم باستقبال المعلومات والخبرات التربوية بجهد خالص ونفس راضية وعقل متفتح ، ودفعهم إلى الصمود في وجه الصعاب التي تعترض طريق حياتهم التعليمية ، ومحاولة اغتلاب على المشاكل التي قد تعوق من نموهم التربوي .

ولئن يكون البيت إيجابياً في التوجيه وذا فاعلية في الاشتراك والتأثير في البناء التربوي للتلميذ إلا إذا كان الآباء والأمهات على درجة من التربية تشعرهم بأهميتها لعدد والجماعة ، وتحبب إليهم الحرص عليها في أبنائهم كما سبق أن حرصوا عليها

واستشعروا نتائجها في أنفسهم . فالآباء والأمهات إذا كانت لهم دراية ترموية وثقافية كافية أخلصوا في المشاركة مع المدرسة والمدرسين ، وأسعفوا بخبرة وثقة في حل المشاكل التي تكشف عنها الدراسة أو تخلقها الظروف المحيطة بالتلميذ ، كما أنهم لا يرضون بالإسهام بإمكاناتهم المادية وغير المادية في نهضة المناهج التربوية العامة ، وارتقاء مستواها بين أبناء الشعب .

ولقد عرفت الأمم المتقدمة شأن الآباء في توجيه السياسة التربوية فأثر كروهم مع المسؤولين التربويين في وضع المناهج واقتراح الحلول لبعض الصعاب التي تنشأ في المدرسة ، وتضامنوا معهم في الاهتمام إلى الطريق القويم في رد اعوجاج التلميذ صلاحاً ، ومعالجة شذوذهم الدراسي ونحو ذلك مما لا تستغنى عنه العملية التربوية ولقد أفاد الآباء بما يرجى منهم في هذا الصدد لأن غالبيتهم في تلك البلاد على درجة مناسبة من الثقافة والتعليم تؤهلهم لأن يفيدوا ويستعان بهم إذا ما أمّلت بهم الإفادة وطاب منهم العون .

وبرغم جهل الغالبية العظمى من الآباء في جمهورية مصر العربية فقد بدأت منذ زمن ليس بالبعيد تطبق مبدأ تعاون الآباء مع المدارس بشكل إيجابي في تشكيل مجالس الآباء والمعلمين على غرار مثيلها في بعض البلاد المتقدمة . غير أنها لم تجد من عون الآباء ما يشجع ويبعث الأمل ، فالدعوات ترسل مراراً إلى البيت لدعوة الآباء إلى المدارس والاشتراك مع المدرسين بأرائهم وخدماهم في ميدان التربية والتعليم ، ولكن لا يحضر من العديد المتظر والمقدر بالئات إلا أفراد ، ثم لا يستعد لبذل العون والقيام بالتعاون الصادق من هؤلاء الأفراد لإقامة لاتفنى غناء ولا تبني في طريق الهدف من تعاونها التربوي رأس جسر أو بداية معبر .

وقد يقال إن الفقر الذي يعاينه غالبية الآباء هنا هو الذي تأخر بهم عن النهوض ونأى بهم عن المشاركة والحضور وتلبية الدعوات المدرسية ، لأن المدرسة غالباً ما كانت تتبع الدعوة بطلب معونات مالية ، ولكن مهما يكن من أمر لفقر وشدته فلن يكون أبداً كل السبب ، فإن الفقير إذا أحس الرحمة بالفقراء ربما أثار فقيراً آخر مثله على نفسه بلقمة العيش الوحيدة التي في يده . وأهم أسباب هذه الظاهرة كما أرى - وإن كنت لا أقلل من شأن الفقر - أن الآباء حدنا

لم يشعروا أهمية التربية وضرورتها في خلق النهضة وتشديد الأمم ، وذلك لأن غالبيتهم لم يتعلموا طبقاً لمناهج تربوية سليمة ، فبعدوا عن المقومات الرشيدة للثقافة والتعميم ، ومن ثم لم يعرفوا لأيهما حلالة المذاق ، وغذوا عما تفعل كأس كايهما بالأيمان وسلامة العقول وصحة النفوس وإن كان في مذاقها مرارة وفي التمرس بها صعوبة . ولو أنهم أخذوا بالقسط الكافي من التربية عن طريق مناهجها السليمة إذاً لأحسوا خطرها وهان عليهم بعض الوقت والمال في سبيل إصلاحها والارتفاع بمستواها ، ولعرفوا كيف يحملون أمانة المشاركة في مثل هذه الظروف إذا حملوها .

ولقد ارتفع مستوى المعيشة وكثر المال نوعاً بعد انشور في أيدي كثيرين ممن كانوا يحسون بضيق ذات اليد ، فهل تغيرت الحال وظهرت المدارس بالمشاركة والتعاون من أمثال هؤلاء الآباء ؟ إن الواقع ينطق بأن الحال ما زالت هي الحال ، وأن الشكوى من إحجام الآباء عن التعاون التربوي مع المدرسة لم تنقطع ، على أن الإحجام لم يقتصر على من يسمون بالجهلاء في جمهورية مصر العربية بل تعداه إلى من يسمون بطبقة المتعلمين ، فالمدارس تشكو قلة الحضور وعدم تعاون البيت بالنسبة للمتعلمين أيضاً ، وتعدده الدهشة الأقواه حيثئذ أن لم يفترق هؤلاء عن الجلاء ومن لاحظ لهم من تعليم ، ولكني أقول : إنها مناهج التربية التي تعرضوا لها حين كانوا يتعلمون في المدارس ، فقد كانت لا شاك ناقصة فيهم كما هي معروفة في نظرائهم مثار هذه الشكوى . ولو أنهم تعلموا بمنهج تربوي سليم ، وترى تربية كاملة وسليمة لكان الأمر غير الأمر ، وانكنا نظفر منهم بتعاون في التحصيل التربوي تدفهم إليه سلامة تربيتهم وسواء تعاونهم . فالحق الذي يجب أن يقال هو أن السبب الذي يبرر هذه الظاهرة لم يبعد كثيراً عن النقص التربوي الكامل أو الجزئي الذي يعانيه الآباء . فهي مناهج التربية السليمة التي تدفع بهم إلى التعاون الصادق مع المدرسة إذا قصدنا إلى اختصار الطريق كلاماً وعملاً .

ومن ناحية أخرى فإن الآباء الجهلة قد لا يجدون معنى للتربية والتعليم في أولادهم يفوق الخدمات التي يؤدونها لهم في الحقل أو البيت أو مجال الصناعة . ومن ثم يضمنون بوقت هؤلاء الأبناء أن يضيع في الذهاب إلى المدرسة وتاق العام فيسا ، ويتحلبون على القوانين التي سنتها الدولة بالزامية التعميم ليظفروا بكل

وقت أولادهم يصرفونه في تصريف شؤونهم الخاصة وخدمة أغراض العمل أو الصنعة التي يؤدونها ، وإن فشلوا في ذلك وقفوا سلبين لا يقدمون لهم توجيهًا ولا بدون نصيحة ولا يتابعون نموهم التربوي خارج المدرسة بما يساعد داخلها .

وفريق آخر منهم يحس جرم الجهل في نفسه ، أو فظاعة النقص التربوي الذي يعانيه ، فيحاول أن يعوض ذلك في ولده ، ولكنه - مدفوعًا بهذا الدفع - يشتط ويبعد في تخيل الآمال التي تفوق قدرة ولده ، ويتعجل النتائج ويريد لها دائمًا حسنة لا يشائبة فيها من نقص ، والويل والثبور للولد والزمن والظروف إن حدث قصور في بعض النواحي . فهو لا ينظر إلى الأسباب والعوامل المحيطة التي تؤثر في تحصيل التلميذ العلمي . ولا يوطن نفسه على مواجهة المشاكل التربوية التي تعترض طريقه ، ولا يكلف نفسه البحث عن حلول معتولة لها . ولذا يسلك مع أولاده سلوك المهمل التربوي دون أن يدري ، ويعمل من جانبه على فشلهم اتساع وخيبة مقاصدهم العلمية .

ويجب ألا نغفل أن أضرار الجهل في الآباء لا تقتصر على الآثار السيئة التي يتركونها في الأبناء والأجيال الصاعدة وإنما تمتد إليهم أنفسهم ، لأن الجهل يبعدهم عن مستوى الإنسانية ويحط من كرامتهم . فالجاهل لا يعرف معنى النظام في نفسه أو فيما يعمل ، ولا يقدر القيم الاجتماعية في المجتمع الذي يعيش فيه . فهو في أغلب الأحيان فوضوي المظهر والخير ، يكره أن يرتقى بمستواه لأنه لم يعرف الطريق إلى ذلك « ومن جهل شيئاً عاداه » ، وهو في عمله كثيراً ما لا يحترم قانوناً ولا يطبع تشريعاً لأنه جبل من صغره على أن يعمل العمل كيفما اتفق لا تحكمه قيود ولا تحده نظم ، وأمثال هذا في مجتمعاتنا العربية كثير . وها نحن أولاء نسمع أن حكومة جمهورية مصر العربية توظف الإخصائيين في مجال الزراعة وغيرها لإرشاد الناس إلى خير ما يعود عليهم بالنفع ، ولتنظيم أعمالهم بما يجعلها أكثر نماءً وحيوية وإنتاجاً ولكن كثيراً منهم لجهلهم لا يهابون لعمل الإخصائي ، ويتهربون من تشييعاته وتوجيهاته كأنه وظف للإضرار بهم لا لنفعهم . وهكذا يرتكب الجهلاء المخالفات ضد القوانين التي تصدرها الحكومة لحيرهم ، ومرجع هذه المخالفات في أغلب الظن هو الجهل وعلم الوعي التربوي وضيق الأفق الثقافي . وأين هذا مما يحدث

في ليلاد الأجنبية ذات الشعوب المثقفة المتعلمة حين تصدر القوانين أو سنن التشريعات التي تحد من منفعة الشخص أو تقيد من استفادته في ناحية من النواحي لبعض الظروف الحرجة أو الطارئة فيستجيب الأفراد تَوْأَّ مدفوعين برعاية المصالح العام ، ويحاسبون أنفسهم بأنفسهم إذا جاروا أو خالفوا القانون .

الجاهل أيضاً لا يعنى لغيره من الناس حقوقاً ، وكأن الدنيا خاقت له وحده ومن آجله فقط . ومن ثم يصعب مرامه النهضى ، وكثيراً ما يستعصى على التصور والتعلم . على أنه بعامة ضعيف الحيلة ناقص الإمكان ، عاجز عن تفهم الصواب في شتى طريق الحياة الكريمة لنفسه ، والارتقاء بمستوى عيشه ووجوده الإنسانى . وإنى لأعرف كثيراً من ذوى الثروات المعقولة يضمنون على أنفسهم بالمسكن اللائق والطعام الصحى والمظهر الكريم ، ويفضلون على ذلك كله تكديس الأموال والتمتع بعدها .

تربية الآباء على أساس من المناهج التي تقوم على تربيهم في مجال أعمالهم وتبصيرهم بالفنية السليمة للحرفة التي يمتدونها فوق إزالة أميتهم الثقافية يساعدهم مساعدة كبيرة على تنمية المهارات فيهم وتطويرها تطويراً سريعاً وفعالاً لمصالحهم ومصالح الدولة أيضاً ، فالزراع إذا تدرّب على استخدام الآلات الميكانيكية ووساطة تصنيع المنتجات الزراعية واتباع الطرق الحديثة في فلاحه الأرض فإن الزراع على يديه ترتفع بمستواه المعيشى وتسهم فوق ذلك في اكتفاء الدولة الماتى وتوفير لسمات الأجنبية للارتفاع بها فيما لا غنى عن الاحتياج إليها في كالمشروعات الصناعية الكبرى وغير ذلك . والعامل إذا أحسن تربيته الفنى فارتفع مستواه في الآتاء ووعى معنى الخلق وحساسة الضمير حين يعمل فإن ذلك يرتد قوة مادية وصناعة يتحول عائدها إلى نفسه سعادة ورفاهية وإلى الوطن نهضة وتقدم . وهكذا فإن هذه المناهج التربوية والتعليمية للآباء تقدرهم على إتقان الأعمال والإخلاص في أداء الواجب فيها بما يحقق الخير للفرد والأمة جميعاً .

وحين نتحدث عن الآباء لا نعنى قصر الكلام عليهم دون الأمهات ، فالأم المثقفة ودورها الكبير في العناية بأولادها وتنشئتهم نشأة الصحية عقلياً وجسمياً وبث العادات السليمة والخلق القويم في نفوسهم - وهم الجيل الناهض -

كل ذلك وأثره الاجتماعي في فاعلية العمل القوي وزيادة الإنتاج بين أهمية الكبرى في تربية الأم ورفع مستواها الثقافي ضماناً لخير الأجيال المتعاقبة . على أنها - وهي ربة بيت - تحتاج إلى التربية الاقتصادية والتنشيط الاجتماعي لتشارك في دعم الاستقرار والعمل على إشاعة الرخاء بما تحسن في تدبير منزلها وإسعاد زوجها ومشاركة المسئولين في التمسك على الأزمات أو التلاعب بالأسعار أو شن الحرب على السوق السوداء أو غير ذلك مما يتيح للدولة أن تنفرغ لمشاكلها الكبرى وتنهض بأعباء التخطيط الدقيق للمستقبل . والمسئول عن ذلك لا شك هو المناهج التربوية .

وفي فترات التحول والنهوض بخاصة يعد تعليم الكبار - وجهاً - ضرورة من ضرورات النهضة ؛ فتعليمهم يهيئ لهم فرص الأعمال ويقودهم إلى إقامة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية النافعة . وبقدر ما تتفتح أبواب العمل وتقوم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية الجديدة تكبر مسئولياتهم الفكرية والخلاقية والاجتماعية ، وهي سناد الأمة في تطورها وتحقيق أهدافها وتدعيم كياناتها . وعلى العكس من ذلك فإن إغفال تعليمهم يقعد بهم عن المشاركة المحمدية في مسيرة التطور بالأخذ بنصيب في دفع عجلة النهوض إلى الأمام ، بل كثيراً ما يخاق العراقل والصعاب التي يعانى منها المسئولون والمجتمع بعامة ، وإلا فكيف يحافظ شعب على حرته وكيف يقف في وجه لتيارات السياسة المعادية ؟ وكيف يتعرف على أساليب الخداع التي يلجأ إليها الاستعمار في كثير من الأحيان للسطو على مقدرات الدول النامية وأرزاق أهلها ومكاسبهم ؟ وكيف يستعمل حقه في حرية انتخاب ممثليه ؟ كيف يتحقق هذا وغير هذا لمن لم يتبصر ويع ويقف - عن طريق مناهج التربية والتنشيط - ذكياً حماساً بكل ما يدور حوله وما يدبر له في خفاء أو علن ؟

وما تجدر الإشارة إليه في هذا المجال أن تربية الخلق الوظيفي في الموظفين عن طريق المناهج القويمة التي توضع لهم من أهم دعائم التقدم في أى مجتمع . الخلق الوظيفي الذي أقصده هو معرفة الموظف بأصول التعامل السليم مع الجمهور ، ووضع مسئولية وظيفته والأعمال التي تتطلبها في مقدمة المسئوليات والأعمال ، ثم قيامه بواجباته فيها بإخلاص وأمانة دون أن يسوقه سائق ما . ولست مبالساً إذا قلت إن النقص في هذا الجانب من التربية - وهو ما يقوم أساساً على التربية

تلقية والاجتماعية. — هو من أهم معوقات التقدم الثورى فى مجتمعنا العربى .  
 حوظفونا وإن كانوا متعلمين بنسب متفاوتة إلا أن التربية الخلقية تتقصدهم . فهم  
 يعرفون الفضائل التى تحت عليها الأديان وتقتضيها أصول الخلق القويم كالصدق  
 الأمانة والإخلاص فى العمل ومحاسبة الضمير ونحو ذلك . وهم يجهلون قواعد  
 تعامل الإنسانى المهلب . وهم إذاً يبعدهم عن الخلق الوظيفى أعجز من أن  
 تحملوا مسئولية غيرهم لأنهم أنانيون لا تهتمهم غير مصالحهم الشخصية ، ومن  
 م تضيع حقوق غيرهم بين أيديهم . وهم حين يتعاملون مع الناس يسيئون إلى  
 من يظلمهم بإيهم بسؤال أو يقف أمامهم مستفسراً أو يطالب إليهم عملاً من صميم  
 اختصاصهم . وهم بتهاونهم وإهمالهم متطلبات المسئولية الوظيفية أو بعدم إلمامهم  
 بقواعدها وأصولها يضطرون ذوى المصالح لديهم — بسبب كثرة السؤال عن تلك  
 المصالح أو قلقهم أن يبوءوا بالبوار نتيجة الإهمال والتهاون — أن يلجثوا إلى الرشوة  
 و التحايل فى البحث عن أبواب المحسوبة ؛ مما يشيع فى الناس عدم الاستقرار  
 وتعطيل الأعمال ، ويعود على الدولة بالخسارة فى إنتاجها العام وحصيلة دخلها  
 لقوى . إن كثيراً من هؤلاء يعملون الإضرار بمن يقع تحت طائلهم أو يقصرون إلى  
 تراخى فى أعمالهم قصداً ليلبغوا غاية دنيئة أو يشبعوا هواية الإضرار بالناس . إنهم  
 هنا — وبرغم ما بلغوه من مستوى تعليمى — فى حاجة إلى قدر من التربية لغرس  
 لخلق الوظيفى فى نفوسهم ونحو الأمية الخلقية منهم حتى تسريح النفوس وتقوى  
 لروابط الاجتماعية والأخوية وتسير عجلة التقدم دون إبطاء فى بلدنا وهو أحوج  
 ما يكون فى عهد ثورته الشاملة ألا يتوقف لحظة واحدة .

وختام الحديث فى هذا الصدد أن الجاهل فى أى مجال من المجالات التى  
 تحدثت عنها عدوتهم وعدو الأمة التى يعيش فيها ، لأنه بجذله وتصرفاته الخرقاء  
 هلم نفسه ويهدم أمة . ولا سبيل إلى إنقاذه وإقازد أمة من شروره إلا بالتربية  
 —إتساع الوعى الثقافى عنده عن طريق المناهج التعليمية السليمة . وذلك كله ينطق  
 بوضوح وجلاء بما لتربية الآباء والكبار من أهمية كبرى إذا أريد الوصول بالدولة  
 إلى أفراد جميعاً إلى غاية مأمونة وبراجتماعى أمين وسعيد . ولهذا نحاول الدول النامية  
 على رأسها جمهورية مصر العربية إيماناً منها بأهمية التربية للآباء فى مساعدتها

على بناء جيل هادف وشعب واع ينفعها في الأزمات وعميق لها طموحها ويرفع من مكانتها بين الدول ؛ تحاول أن تضع المناهج التربوية التي تقضى على الجهل وتزيل الأمية التي ابتلى بها الكبار من أبنائها حتى تضمن أن كل فرد فيها يتحمل نصيبه في دفع عجلة التقدم والنمو إلى الأمام من زاوية أو من أخرى ، فيتحقق لها الهدف العام الذي تنشده من الرقي والنهضة .

o b e i k a n d i . c o m

## الفصل الثالث

### أهمية المناهج التربوية للناشئين

إذا كان المجتمع عبارة عن مجموعة أو مجموعات من الأفراد تجمعهم ثقافة واحدة ، فإن كل خير تسديده المناهج التربوية إلى المجتمع بعامة يعود أثره على الأفراد ، أو سـ خـير للأفراد أنفسهم وبخاصة الناشئون منهم لأنهم المـثـارون الحقيقـيون لمستقبله ونهـمته المتـنـظـرة . وإذاً فما تـقـدم من الحديث عن أهمية مناهج التربية للدواة والآباء تتـبلـر نتـائـجه في الشـباب الناشئ وما يتحقق لهم من منافع قـريـبة أو بعيدة .

وحـصـراً للحديث في أهمية مناهج التربية للشباب والناشئين مباشرة فإن أقل ما سـديـه هـذه المناهج لهم هو أنها - إذا سلمت وصحت - تعطيهـم مفتاح الحرية الحـتـيـمـة وتفتح عيونهم وعقولهم على الواجبات التي يكلفونها وعلى الحقوق التي يجب أن نـشـثوا على الحرص عليها والدفاع عنها ضد من يريد اغتصابها منهم . ولقد كان الولاة من أسرة محمد على يهملون تربية الشعب المصري وتعليمه ويغلقون أمامه المـدـيـس ومناـبـع الثقافة لأنهم كانوا يأملون دوام السيطرة والسيادة والتحكم والانعـمـاس في لهوى والشهوات حين يغفـو الشعب بجهالته وتطمس معالم النور في وجهه ضائلة من عدم المعرفة والتعليم .

وقد قيل إن الظلم في ذاته لا يولد الثورة . ولكن الذي يولد الثورة هو الإحساس بالظلم . وليس هناك من سبيل للإحساس بالظلم أقوم من أن يتعلم الإنسان ويتعذب ويتضاد ثقافة وخبرة ، فيعرف عن هذا الطريق ما له فيمعى وراءه ، ويقبض عليه - إن قاله - بيد من حديد لا يعرف التفريط إلا بإسلام الروح . وكـلـما تعلم الإنسان وتهذب صغيراً وتدريب على ممارسة حقوقه منذ عهد الطفولة كان ذلك أدعى ألا يتهم فيما عند الكبر ، وأقوى صلابة في الدفاع عنها والوقوف في وجه غاصبيها . وذلك ما كان يخشاه كثير من الحكام الطغاة قديماً فأهملوا التربية ومناهجها الصحيحة أيما إهمال وانصرفوا يعثرون بمقدرات الشعب ويتسهبون خيراتها لآعين .

ولسنا نقصد بتربية الأفراد هنا مجرد إمدادهم عن طريق المناهج التعميمية ليكونوا كتبة وموظفين بمكاتب الحكومة ودواوينها كما كان يحدث في مصر في جهود غابرة ؛ لأن هذا القصد تضييق خاطئٍ مقيم لمعنى التربية ، وإنما نقصد بتربية الفرد طرد الجهل من رأسه لأنه ظلمة وإحلال العلم والمعرفة مكانه لأنه نور . فتعمل مناهج التربية حينئذ على تغذية نمو العقل وتطوره بما يفتح أمامه مسخاق المشاكل والصعاب ويهديه إلى أسلم الحلول وأدناها إلى الصواب في مواقف الحياة التي تعترضه ، وتنمي فيه الاتجاهات والعادات والمفاهيم التي تعد جوهر التكيف الاجتماعي الصحيح ، والتي ترضيه عن نفسه وتشعره بأهمية وجوده في البيئة التي يعيش فيها وتساعد على تطوره الاجتماعي ، وتعد بالمعلومات الحقيقية التي تعتبر أساس الأحكام المعقولة واتخاذ القرارات الحكيمة ، وتساعد على إطراد صحته الجسمية والعقلية ، وعلى نمو الخلق والروحي ، وتهذب نفسه وإحساسه وتخلق فيه روح الاعتماد على النفس ، واحترام الأعمال والمهارات المختلفة — مهما بدت في نظر البعض حقيرة — لأنها تؤدي رسالة اجتماعية وتسد بعض الحاجات التي لا غنى عنها . وتفتح أمامه مجالات المعرفة والترود بالخبرات وتدم الانقطاع عن الدس والتحصيل .

بهذا كله نصل بمناهج التربية إلى أهدافها في الشباب فينشأ « صابرين قادرين على أن يعيشوا أولاً ، وعلى ألا يقتنعوا بأذى العيش بل يرغبون في طيبات الحياة ويستطيعون أن يبلغوا منها بعض ما يريدون ثانياً ، وعلى أن يفهموا معنى الوطن ويقدروا حقه عليهم ثالثاً ، وعلى أن يفهموا هذه الصلة الاجتماعية التي تمكنهم من أن يعايش بعضهم بعضاً ويزاحم بعضهم بعضاً في غير مضارة ولا تعدد للشر ولا قصد إلى إثم ولا تورط في الجرائم والسيئات رابعاً ، وقادرين أخيراً على أن يفهموا معنى الإنسانية ويحققوه ويشعروا بما لهم على الأمم الأجنبية من حق وما عليهم لها من واجب ، قادرين على الحملة أن يفهموا الحياة وينهضوا بتبعاتها لأنفسهم وأسرهم ووطنهم والتاس جميعاً » (١) .

إن مناهج التربية السليمة فيها بناء لشخصية المتعلم الفردية والاجتماعية ، واکتيل

(١) طه حسين ، مستقبل الثقافة في مصر ، مكتبة المعارف وطبعتها بمصر ، ١٩٣٨ ، ص ٥٦ .

لقومات حياته السعيدة ، وسبيل إلى إشباع حاجاته والسمو بقدراته واستعداداته وتحقق لرغباته عن طريق مشروعة لا اعتداء فيها على حرمان الآخرين ورغباتهم . وإذا كانت مناهج التربية تؤدي مثل هذه الخدمات للشباب وتقوم بتلك الوظائف التي عدتنا عنها فما أحرأها أن تتصف بالأهمية الكبرى للناشئين . وما أحرى الأمة - والشعب طليعتها في الحاضر وعدتها في المستقبل وجيشها الوطني الذي يكون شعبها ويمجته آمالها - ما أحرأها ألا تبخل عليهم بالتربية والتهديب والتشيف مصروغة في أشل المناهج التي تحقق لهم هذه الأهداف .

• • •